دور السلطة الأموية في ترسيخ المبادئ البيئية الإسلامية في بلاد الأندلس خلال القرنين (3- 4هـ/ 9- 10م)- دراسة نموذجية

تواتية بودالية
قسم العلوم الإنسانية
جامعة معسكر

البيئة هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويأوب إليه، ويستمد منه مقومات حياته. أو هي المحيط الحيوي أو المادي الذي تعيش فيه الكائنات حية وغير حية، وتشمل البيئةُ البيئةَ الجامدة(الطبيعة) التي خلقها الله، والصناعية التي صنعها الإنسان(الريسوني،ق،2008 :14/ القرضاوي،ي،2001: 12).

لقد سخر الله هذا الكون وهيأه للبشر حتى يستطيعوا أن يعيشوا فيه، ويستمدوا أقواتهم من هذا المصنع الإلهي ليكونوا قادرين على الانتفاع بخيراته. كما أبدع الإنسان في استغلاله عبر مختلف الحضارات، لكنه في الوقت نفسه كان مسؤولا عن إفساد الوسط الطبيعي، وقد حمل القرآن الكريم المؤسس للفقه البيئي - من مبدأ عقدي- مسؤولية الإنسان في ذلك بقوله تعالى " **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** " (الروم: 41) ، وازداد حكم الناهي في تنبيه الإنسان للكف عن المفاسد التي تفتك بالبيئة لحفظ الوجود الإنساني ضمن المنهج الإلهي، قائلا:" **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**"(الأعراف:56).

والإفساد في الأرض، يشمل الإفساد المادي، بتخريب العامرة وإماتة الأحياء، وتلويث الطاهرات وتبديد الطاقات واستنزاف الموارد في غير حاجة ولا مصلحة، وتعطيل المنافع وأدواتها (القرضاوي،ي، 2001: 68). وإن تامين الأسس الطبيعية ضرورة للحياة الإنسانية لضمان مستقبلها عن طريق الإدراك الواعي لقيمة البيئة للحفاظ على هذه السياسة التي بثها الإسلام في التشريع الفقهي بدءا من القرآن والسنة النبوية، وترسيخها.

وفي ظل تنامي قدرات الإنسان على استغلال مختلف عناصر البيئة، فإنّ الدّولة مسؤولة عن رعايتها في ضوء القيم الإسلامية، إذ لابد أن تستفرغ كل الإمكانيات والطاقات المسخرة والوسائل الناجعة في التنمية البيئية من المنظور الإسلامي، حتى تحول الفكرة إلى إنجاز، والقيمة إلى قانون والمثالية الأخلاقية إلى ممارسة حية (الريسوني،ق،2008 :191). ونتخذ من بلاد الأندلس أنموذجا وذلك من خلال برمجة زمنية تحدد بين القرنين(3- 4هـ/09- 10م)، وفيه اتخذت الثقافة البيئية شكلا أخر اتبعته السّلطة الأمويّة ومؤسسة الحسبة آنذاك. إنّ انتقاء المكان والزمان هو الرّابط الأمثل للبعد البيئيّ لحفظ التّراث الحضاريّ للفرد والمجتمع، وحفظ التّنوّع البيئيّ والحيويّ الذي رسمته السّلطة الأمويّة في بلاد الأندلس.

المبادئ البيئية الإسلامية

إنّ الإسلام هو الأسبق إلى التّنبؤات البيئيّة والدّعوة للمحافظة عليها، وقد زوّد الإنسان بالرّؤية الصّحيحة من خلال التّشريع الإسلامي، وذلك بما يحقق خلافة الأرض لقوله تعالى{ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلُ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** }(البقرة:30). ولا يتسنىّ له تحقيق هذه الخلافة إلا باحترام القيم السّامية ذات البعد العَقَدِيّ الرّوحي، ويتجاوز ذلك إلى الفعل الايجابي المتمثل في حماية عناصر الطّبيعة من حيث الوجود وصيانة مواردها، وتحقيق كلّ ما ينمّيها. ومن أهم المبادئ البيئية الإسلامية التي من شأنها حماية البيئة والمحافظة على مكوناتها :التّعمير والاستثمار، التّشجير والزّراعة، النّظافة والتّطهير، الحفاظ على الموارد ، والحفاظ على صحة الإنسان.

ويتعذر علينا في هذا المقام إيراد كل دلائل حماية البيئة من القرآن والسّنة لكثرتها ووفرتها. ومن هذا المنطلق نسعى إلى تحديد نماذج من طرق التّفكير والسّلوك البيئي عند الأندلسيين الّذي تجنّبوا المشاكل البيئية وقلّلوا من آثارها قدر الإمكان وساهموا في ترسيخ المبادئ البيئية الإسلاميّة على أرض الواقع، ويقع هذا العمل الوقائيّ بالدرجة الأولى على مسؤولية الدّولة التي تتحمل العبء بالتعاون مع الفقهاء والمحتسبين في إصدار القوانين المتعلّقة بكافة المجالات، وذلك باستغلال الأمثل للمصادر الطبيعيّة ويمكن تحقيق ذلك بتوجيه المجتمع نحو سلوك بيئي .

1 دور السلطة الأموية في ترسيخ المبادئ البيئية الإسلامية في بلاد الأندلس

إنّ اهتمام الإسلام- عقيدة وشريعة- بالفرد مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم السلوك في استثمار الموارد والثروات. ولا شك أنّ الجانب الأخلاقي للسلطة الحاكمة دور في إصلاح الإنسان واستحداث النّظم والقوانين التي تنظم علاقاته بالآخرين واستقراره في المحيط، وقد حدد الإسلام القيم السامية التي تؤمن له الاستقرار والمنفعة الدائمة بقوله تعالى: **وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وِيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وِينَهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ"** (آل عمران: 104). إنّ هذه الصفة تهدف إلى خلق معرفة بيئية بغية تحديد توجهات سلوكيّة تكتسب أهدافاً جوهريّةً في إطار المنهج الوقائيّ وحماية البيئة، وإذا كان إنكار المنكر وتدبير الشأن الأخلاقي داخل المجتمع يتطلب القدرة فلا شك أنّ الحاكم أقدر من سائر الرعية، والحاكم هو وحده الواعي بضرورة التكيّف مع البيئة ومعايشتها في أحسن الظروف، لأنّه معاصر لواقع الحياة ومشكلاتها، وقادر على تفعيل السّياسة البيئية من خلال التوجيه والإرشاد مع تطبيق كلّ الطرق والوسائل التي تؤدي إلى ذلك. وبموجب هذه المسؤولية سوف نذكر نماذج من جهود السلطة الأموية في بلاد الأندلس خلال القرنين (3- 4هـ/10- 11م) والتّدابير العملية اللاّزمة في تأصيل المبادئ البيئية الإسلامية على أرض الواقع من التّعمير والاستثمار، التّشجير والزّراعة، النّظافة

والتّطهير، والحفاظ على الموارد، والحفاظ على صحة الإنسان. وكلّ ذلك لحماية البيئة والحفاظ على مواردها وتنميتها للمصلحة العامة.

أ- التعمير

بدأ التّبدّل الاجتماعيّ والسّياسيّ في بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلاميّ يسير نحو طريق اكتساب الحضارة الجديدة بيد السّلطة الأمويّة التي حفظت الأمن والاستقرار في الدّولة، وأخذت الموجة الحضاريّة تمتد إلى نواحي الأندلس، واتّسعت حركة الإنشاء والتعمير بخلق فضاءات معماريّة ملائمة للعيش تراعى فيها الرّاحة الجسميّة والنّفسيّة والبيئيّة بالدرجة الأولى. وأشهر المدن الأندلسية التي حظيت باهتمام السّلطة الأموية قرطبة، والزّهراء والزّاهرة.

تتألف المدن الإسلامية في بلاد الأندلس عادة من بؤرتين رئيستين الأولى البؤرة المركزية وتعرف بالمدينة، وفيها يقوم المسجد الجامع وقصر الإمارة أو الخلافة كما تتركّز فيها الأسواق والقيساريات والفنادق والخانات والحمامات ومختلف أنواع المنشآت المدنيّة، ويحيط بها سور حصين مزوّد بالأبراج وتنفتح فيه أبواب، والثّانية الأرباض أو الضّواحي وهي مراكز عمرانيّة تنشأ خارج الأسوار وتضمّ المراكز العمرانيّة المحدثة خارج نطاق المدينة بأسواقها ومساجدها وحماماتها ومرافقها الخاصّة(كمال السيد،أ:95).

إنّ مجتمع الدّراسة عنصر فعال في المشروعات المدرجة في الخطط البيئية وإشراكهم في تنفيذها. فقد كان المسجد الجامع بقرطبة أساس العمران في المدن الأندلسية وانتهت مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل إلى أربعمائة وتسعين مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا، وبلغت في عهد المنصور بن أبي عامر ألف وستمائة مسجد(المقري،أ،ج2، 1988 :540).

وأشهر القصور الأموية قصر الرصافة، والقصر الخلافي وقصر الزهراء وقصر المؤنس. ومن الشّواهد العمرانية الأخرى، يمكن أن نشير إلى شغف الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالبنيان " الذي اخترع بداخل القصر مباني جليلة ومصانع عجيبة إليه منسوبة" (ابن حيان، ت.محمود علي مكي، 1973: 281). وأعاد الخليفة نفسه بناء طليطلة " فجمع الأقوات إليها وإقامة الأسواق بها، وجمع الماهنين، والفعلة والصناع والمعالجين إليها وشحنها بالأقوات والعدد"(ابن حيان، ت.بيدرو شالميتا، د/ت: 244). وقد اختط مدينة الزهراء واتخذها منزلا وكرسيا لملكه، فأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين وجلب لها المياه، واتخذ فيها دارا لصناعة آلات السلاح للحرب والحلي وغير ذلك من المهن(ابن خلدون،ع،ج4، د/ت:144).

لقد ساهمت حركة الازدهار والانتعاش المدني والاقتصادي، واهتمام الحكام بالإنشاء والتّعمير، بظهور تجمعات سكانيّة خاصة في مدينة قرطبة عاصمة الخلافة التي احتضنت أكبر تجمع للسّكان؛ إذ أحصيت قراها التي بأرباضها في

أيام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(371- 392هـ/981- 1002م) حسب الرواية " كانت مائتي ألف دار ، وثلاثة عشر ألف دار وسبعة وسبعين دارا ، هذه في دور الرعية، وأما دور الأكابر والوزراء والرؤساء والقواد والكتاب والأجناد وخاصة الملك فستين ألف دار وثلاثمائة دار سوى مصاري الكراء "(مجهول، ت.بوباية عبد القادر، 2007 :77).

لقد كانت الحاجة الدّائمة لمرافق تخصّ الحياة الإسلامية مثل الحمامات لأهمية الوظيفة الصّحية لها والعباديّة؛ فالاستحمام عادة متأصلة في نفوس الأندلسيين. والمسلمين الذين يمارسون فرائضهم الدّينيّة. وغالبا ما كانت تقع بالقرب من المساجد ليتيسر التّطهر قبل دخولها لأداء فريضة الصلاة. وعرفت بذلك المدن الأندلسية عددا كبيرا من الحمامات، وانتشرت في الأحياء والمنازل والقصور. ويذكر أن بقرطبة حوالي ثلاثمائة حمام، وستمائة في عهد المنصور (بلباس، ت، 1953: 109).

وعرف الأندلسيون نظام الإنارة في شوارعهم ومساجدهم وأبنيتهم، ويحكى أن العمارة في مباني قرطبة والزّهراء والزّاهرة اتّصلت إلى أن كان يمشي فيها بضوء السّراج عشرة أميال(المقري،أ، ج3، 1988: 203). ولإنارة المساجد فقد خصّصت في المساجد كميات كبيرة من الزيت للوقيد، فكان في مسجد قرطبة خمس ثريات في الصومعة وأربع في بلاط القبلة، وهي أعظمها، تحمل كل ثرية منها سبعة أرباع من الزيت تحترق فيها كل ليلة واحدة، ومنها في المقصورة ثلاث ثريات من فضة مخلصة تحمل كل ثرية منها ثمانية عشر رطلا من الزيت(مجهول، وصف جديد لقرطبة، (1965- 1966م): 176).

ب- الأسواق والطرقات

لا ضرر ولا ضرار، تظهر أهمية هذه القاعدة في إرساء المفاهيم البيئية على ضوء الشّريعة الإسلاميّة، فقد حدد الفقهاء والمحتسبون الضّرر داخل المدينة فاعتبروا الدّخان الضّار والرّائحة الكريهة والصوت المزعج ثلاثة مظاهر تسبب الضّرر للآخرين. وتطبيقا للنّظام البيئي في معالجة الأضرار وجب إبعاد بعض الحرف والصّناعات عن الوحدات السّكنية والحرص على جمع الحرف المتشابهة في موضع معين (ابن عبدون، م، 1995: 43). وتحوّلت الأسواق إلى أكبر فضاء للاستثمار والإنتاج وتعرضت إلى هيكلة تنظيميّة على مستوى الأمكنة وتهيئة أرضيّة وجغرافيّة بحكم موقعها من المؤسسات السياسية(القصر)، والدينية (المسجد). وتمّ تصنيفها وفق معايير تعتمد في الأساس على نوعية السّلع المعروضة للبيع أو الحرف، فقد كانت كلّ سوق من الأسواق تضمّ عدة متاجر في سلعة واحدة، ومن جملة الحوانيت حوانيت الريحاني، الحرازين، الجيارين، الصوافين، السراجين (ابن حيان، ت.عبد الرحمن علي حجي، د/ت: 207/ ابن بشكوال،خ، 2003

:336)، ولحوانيت المدن الأندلسية مظلة مائلة من الخشب أو الحصير تقي البائع وعملائه من حرارة الشمس والمطر(عبد الله الحساني،ف، 2008 :142)

ومن جهة أخرى، يحتل كلّ نوع من أنواع الحرف والصّناعات سوقا باسمه، كسوق العطارين والوراقين والحدادين (ابن حيان، ت.بيدرو شالميتا، د/ت: 383- 444)، وسوق الزجاجين (الطاهري،أ، 1989: 117)، إضافة إلى سوق الحصارين والجيارين (السيد عبد العزيز، س،ج1، د/ت:181)، وسوق النحاسين والخشابين والفخارين(ابن عذاري،م،ج2،د/ت:131- ج3 :57). وتحدث غيرهم عن ربض الريحاني والرقاقين بقرطبة، ومن الحومات حومة الرقاقين قرب باب إشبيلية، وحومة النجارين(السيد عبد العزيز، س، 289:1997). ويبدو أنّ السّلطة تكفلّت بتحقيق هذا التّنظيم، فمن واجبات المحتسب" أن يرتب الصناع ويجعل كل شكل مع شاكله في مواضيع معلومة فهو أجل وأتقن"(ابن عبدون، م، 1995 :43).

لقد حظيت السّوق في قرطبة بأهمية إستراتيجيّة واقتصاديّة، ظهرت بها المشروعات التي لا تتّفق مع اتّساعها ولم تتمكّن من استيعابها، فتدخّلت الدولة أكثر من مرّة لتوسيع السّوق والطّرق المفضيّة إليها. ممّا دفع الخليفة الحكم المستنصر(350- 366هـ/961- 976م) إلى استئصال بعض العيوب التي لا تستوفي المقاصد البيئية وذلك بإصلاح الأسواق داخل مدينة قرطبة حفاظا على أمنها ونظافتها، ونذكر في هذا الصدد أنه "أمر صاحب السوق بإخلاء دار البرد، وتوسيعها ونقل البزازين إليها لينفسح بهم سوقهم وتستوسع صناعتهم إذ شكوا بضيقها". كما أمر الخليفة نفسه " بتوسيع سوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، كي ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين". وعندما اجتاز بموكبه الربض الشرقي وجد أنه لا يؤمن للازدحام " فعهد ساعة نزوله بابتياع الحوانيت من أربابها بما يوافقهم من أثمانها وهدمها لتتسع للناس وتؤمن مضرتها"(ابن حيان، ت.عبد الرحمن علي حجي، د/ت: 66- 67- 70- 71). كما تنبه المحتسبون إلى نظافة الطّرق وأمروا أهل الأرباض بحمايتها عن طريق منع طرح الزّبول و الأقذار، وإصلاح المواضع المتطامنة التي تمسك الماء والطين، ويصلح كلّ أحد فناء داره ويحميه، فان كان موضع كثير القنوات يجبر ويتم إصلاحه حتى يقطع الضرر حيث كان(ابن عبدون، م، 1995: 37).

وممّا لا شكّ فيه فإنّ السّلطة الأموية تشدّدت في مراقبة الأسواق للحيلولة من تشويه الفضاء الطّبيعيّ للمدينة وهو ما تعكسه ظاهرة التّنظيم البيئي للمحافظة على البيئة الحضريّة التي رسمتها السّلطة الأموية من خلال مشاريعها العمرانّية والتّمويّة. ومن هنا كان للجانب العمرانيّ دور في التّأهيل البيئي، فالحاكم له قدرة في تحقيق التّوازن البيئي على الواقع مراع في ذلك المكان والاجتهاد في تطبيق مخطط جغرافيّ لتهيئة الإقليم الأندلسي من أجل إحداث نوع من التكيف مع

الوسط. ولهذا التّصنيف الذي أحدثته السّلطة الأموية أهمية اقتصادية من حيث التّوزيع الحضريّ في تحديد المناطق الاستثماريّة من خلال تخصيص مواقع مناسبة وثابتة لكل نشاط حرفيّ أو تجاريّ، وقد اتّضح هذا الوعي النّاضج كي يستطيع كلّ فرد أن يؤدي دوره بشكل فعّال بين البائع والمشتري والوقوف في وجه الصّناعات الملوثة للمحيط. بالإضافة إلى تأمين نقل البضائع واتّخاذ التّدابير اللاّزمة لها بتنظيم حركة المرور، وهذا الأسلوب مهد لنشوء وعي وثقافة بيئية مرتبطة بالنّظام الاقتصاديّ.

ج- حماية الموارد

إنّ العنصر الفعّال في التّخطيط البيئي يكمن في حماية المواد الأوليّة المقرّرة في المشاريع العمرانيّة والعسكريّة، واستغلال المعادن في موضعها. ممّا ساعد على توسيع شبكة القنوات المائيّة بالمدن الأندلسية، والانصراف إلى ضرورة العناية بالثّروة المائيّة أساس الإنماء الاقتصاديّ، وهذه المصداقية ازدادت وضوحا في القرآن الكريم لقوله تعالى:{ **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**}(الحج:63) وفي آية أخرى يستقر الإدراك العقلي بضرورة حماية وظيفة الماء الإحيائية بقوله تعالى:{ **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**}(النحل:65). ولمّا كان الماء نعمة وعنصرا هامًّا في البيئة الحضريّة للمدن الأندلسية اهتمّت السّلطة الأموية لمواجهة أزمة النّظام العمرانيّ تسهيل نقل الماء إلى السّكان من دون عناء وتغطية احتياجاته من الماء الشّروب خاصة.

إنّ قضية جلب المياه إلى المدينة دفعت بالسّلطة الأموية إلى استنباط تقنيات جديدة في استغلال المعادن في صناعة الأنابيب المعدنيّة عن طريق شبكة من القنوات أو المجاري الظّاهرة فوق الأرض أو الجوفيّة. وكان يشرف على سلامتها وتوزيعها حفظة قوامون. وكانت القنوات من حجر في جوفها أنابيب الرّصاص لتحفظه من الدّنس. ومن عناية الأمراء والخلفاء بماء الشّرب وتوفيره لأهل المدن، ذكر المقري أن خلفاء بني أمية أجروا إلى قصر قرطبة المياه في قنوات الرصاص بقوله: " ثم ابتدع الخلفاء من بني مروان في قصرها البدائع الحسان، وأثروا فيه الآثار العجيبة، والرياض المونقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة المكرّم، وأجروا في كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه في قنوات الرّصاص تؤديها منها إلى المصانع صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضّة الخالصة والنحاس المموّه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة"(المقري،أ، ج1، 2004: 464).

ولقد كانت مدينة مجريط التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852- 886م) فوق مستودعات من المياه الجوفيّة، متقنة البناء ومحكمة الهندسة. وبالمثل، عرفت مدينة الزّهراء امتداد أنابيب المياه إلى قرطبة بطول ثمانين

كيلومتر سنة (329هـ/941م)(جودة،هـ، 1987: 56)، وكانت ترد من الجبل عن طريق قناة تظهر مرة وتختفي تحت الأرض حينا أخر(مانويل جوميث، م، 1977: 85). ومن جانب طهارة الماء وصيانة الطّاقة المائيّة استخدم الرّخام في صنع الأحواض لحفظ مياه الشرب في القصور والمساجد ولتزيين ساحات القصر(مرزوق عبد العزيز، م، د/ت: 143)، وقد كشفت الحفريّات الأثريّة عن قطع لأجزاء كثيرة ننتقي منها هذه النماذج الموضحة في الصور التالية:

حوض ذو لون احمر أصلي في شمال غرب صالون الخليفة

حوض

خزان الماء شمال الزهراء في سفح الجبل فيه تتجمع

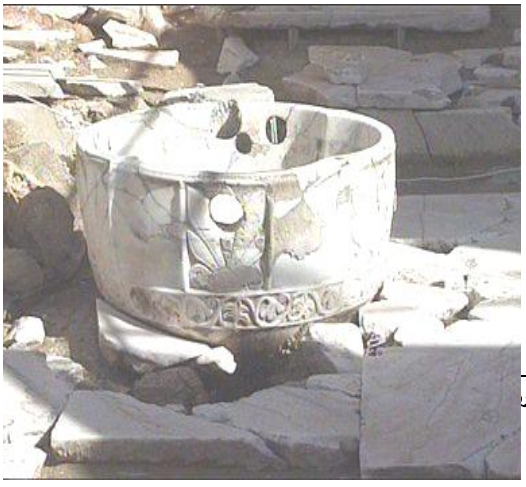

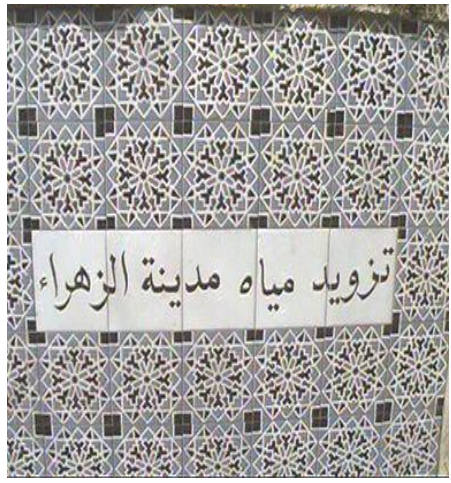

موقع متحف الزهراء www.rawicordoba.com/azahara2

إنّ القاعدة العامة في حديثنا عن هذه المدن الأندلسية هي الكميات الكبيرة من المياه المستخدمة في أغراض متنوّعة تبعا للتّطور الحضاري .فقد كانت تستخدم من اجل الشّرب والاستخدامات المنزليّة والرّي والصّرف والصّناعة والمساجد والحمامات ومن اجل الأعمال الجماليّة في البساتين والحدائق والنّوافير. ومن أفضل الأمثلة على ذلك كما ذكرنا أنفا القصور والدّور في كلّ من قرطبة والزّهراء. والأهمّ من ذلك يمكن اعتبار توريد المياه للحاجة الدّينيّة وهي من مزايا الإسلام المفروضة على كلّ مسلم من الوضوء والاغتسال الذي يعتبر مظهرا من مظاهر الصّحة الفرديّة.

إنّ للحماية المستديمة في تطوير النّظام المائي مساهمة فعّالة في استقرار المنظر الطّبيعي للمدينة، وحفظ وحماية صحة الإنسان الأندلسي وتحقيق البيئة الحضريّة المتمثّلة بوضوح في تنظيم الرّي والصّرف، وبناء النافورات، وغرس الحدائق، وتربية الحيوانات. والتّأهيل الطّبيعي في حدّ ذاته نشاط بشريّ بيئيّ يؤثر في الفضاء الجغرافي وفي تلطيف الجوّ كمحمياتٍ طبيعيّةً تمثّل صورا من المملكة النّباتيّة ذات الصّبغة التّعميريّة والانتفاع الجمالي، وذلك بالتّنظيم البيئي بتخصيص الأراضي المناسبة لكلّ نشاط زراعي مراعين في ذلك المصلحة العامّة والمرافق الحيويّة، ولا تخترق هذه المحميات مشاريع تنمويّة قد تؤثّر على جماليّة الوسط الطّبيعيّ.

د- حماية البيئة الحيوية

اهتم الأندلسيون بالبيئة الحيويّة " النّباتات والحيوانات " اهتماماً كبيراً لما لها من أهمية كبيرة لخدمة الإنسان وتوفير الكثير من متطلبات حياته. كما عرفوا أهمية النّباتات وخواصّها مستعينين في ذلك بما ألف من الكتب في فن فلاحة الأرض، وما هو معلوم ومتداول من هذه المصنّفات على الزراعة كتاب **المقنع في**

الفلاحة لابن حجاج الاشبيلي، و**زهرة البستان ونزهة الأذهان** لمحمد بن مالك الطغنري الغرناطي، و**الفلاحة الأندلسية** لابن العوام الاشبيلي، ويعود تاريخ هذه المصنّفات القرن (5هـ/11م). وعلى الرّغم من الفارق الزّمني بين مرحلة هذه الدّراسة والمرحلة التي كتبت فيها، غير أن الظّواهر الاقتصادية لا تنشأ ولا تتغيّر بفترة زمنيّة قصيرة وإنّما هي مستمرة وتغيرها بطيء جدّا. كما تتميّز هذه المؤلّفات المتأخّرة بالنّقول عمّا سبقها من أثار المؤلّفين المتقدمين. وقد أشارت الكتب الجغرافيّة والأدبيّة إلى كثرة المزارع وتنوّع المحاصيل الزّراعيّة في مناطق مختلفة لتأخذ الأرض زينتها من الأشجار المثمرة الّتي دخلت بلاد الأندلس كالنّخيل وأشجار الفاكهة مثل التّين والرّمان السّفري(المقري،أ، ج2، 2004: 15).

لقد اشتهرت الأندلس برياحينها وبساتينها وجنّاتها تحقيقا للبيئة الحضريّة، وكانت الرّصافة الّتي بناها الأمير عبد الرحمن بن معاوية(138- 172هـ/756-788م) على سفح قرطبة كلّها حدائق وأشجارا نادرة من كلّ المناطق. ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السّرادق، والسدُّ والمنبر(المقري،أ، ج3، 1985 :475). وتخلّلت منية الزّهراء والزّاهرة البساتين والرّوضات، وقد اشتهرت قبرة بجبل ينبت فيه ضروب النّواوير وأصناف الأزاهير(الحميري، م، 1937: 149) مثل الورد والبنفسج والخيري والسّوسن والنّرجس والياسمين والرّيحان والحبق والقرنفليّ والآس، وكلّها نباتات تدخل في صناعة العطور والعقاقير وبغرناطة " العقار والأدوية النباتية ما لا يحتمل ذكرها"(ابن الخطيب،ل، م2 :105).

لقد أغرم شعراء الأندلس بوصف الورد أكثر من غرامهم ببقية الأزاهير، ومن ذلك قول الرّمادي(إحسان، ع، 1969: 109):

للآسِ والسّوْسَان واليَاسَمين	الغضّ والخَيريِّ فَضْلٌ شَديدْ
سَادَتْ بهِ الأرْض ومنْ بينِهَا	وبينَ الوَرْدِ فَضلُ بونٍ بَعيدْ
هَلْ لَكَ في الآسِ سوَى شَمَةً	تَطرحُهُ منْ بَعدِهَا في الوَقودْ

بالإضافة إلى عناية الحكام بالبستنة نضيف من باب الإدراك بالوعي البيئي علاقة الأندلسيين ببقية المخلوقات ولا سيما الحيوان؛ حيث شهدت المناطق الزّراعيّة نشاطا رعويًّا، وكانت المرتفعات الجبلية مراعيَ مكثّفة لإنتاج الثروة الحيوانيّة، وقد بالغ الجغرافيّ الرّازي في وصفها بقوله: "إنّ الأندلس كانت مغطاة بالماشية "(Razi ,A,1953.P62). كما أكدّ ابن عذاري هذه الوفرة وعجز عن إحصائها في قوله: "ومن البقر والغنم أن عجزوا عن ضبطه"(ابن عذاري،م،ج3 :106) واشتهر سكان عدّة مناطق بتربية الأغنام والبقر وذلك في كلّ من طليطلة، وقلمرية، وشذونة وجزيرة قادس التي كان أكثر مواشيها المعز(الحميري، م، 1937: 133- 145/ ابن سعيد ،ع،ج1، 1997: 222/ الإدريسي، م، 2002، م2: 552). والملاحظ، أنّ الثّروة الحيوانيّة كانت قليلة الأهمية في المناطق الزّراعية، ذلك لأنّه من الصّعب في هذه المناطق المزدحمة بالسّكان تخصيص مساحات كبيرة من

الأرض لزراعتها علفا للحيوانات، على أنّ معظم الثّروة الحيوانية ارتكزت في المناطق الدّاخليّة الجافّة خاصّة الغنم والماعز. كما خصصت المزروعات وتربية الماشية بصورة منفصلة عن بعضها البعض؛ إذ غدت طليطلة مثلا موضع تصدير البقر والغنم إلى مناطق أخرى (الحميري، م، 1937: 133).

ومن وسائل السّلطة الأموية تقدير مقاصد الإسلام وتطبيقها عمليًّا في مجال التّنمية البيئيّة، فقد اهتمّ الإسلام بحفظ النّوع والسّلالة في الأشجار والحيوانات وجميع المخلوقات الحية، وذلك أنّ كلّ هذه المخلوقات تؤثّر في التّوازن البيئيّ، وإبقاء الأنواع والسّلالات فيه ضمان لاستمرار هذا التّوازن(شحاتة، ع، 2001م: 50).

وظهرت هذه الرّعاية عند أمراء بني أمية فيما أورده ابن حيان عن مدى اهتمامهم بتنمية الثّروة الحيوانيّة والحرص على استجلاب مختلف السّلالات بأنواعها وألوانها؛ إذ روى أنّه في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن دخل الأندلس من المتاع الفاخر والرّياش النّادر والحيوان المستغرب والمستظرف ما لم يدخله الخلفاء من قبله، وكان من أغارب ما دخلها من ذلك كلّه الزّرافة. وقد كان الأمير نفسه معجبا بالجواميس من دوابّ أهل المشرق مستدعيا لها من التجار مستكثرا منها (ابن حيان، ت.محمود علي مكي، 1973: 176). نسترشد من خلال هذا النص إلى الدور الوظيفي لهذه المخلوقات من النّاحية الجماليّة والتّزيينيّة التي تثير البهجة والسّرور، والرّاحة النفسيّة، وهذا مطلب شرعيّ لقوله تعالى:{**أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ {} وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**}(فاطر:27- 28) .والآية نصّ صريح في أهمية تنوّع الكائنات الحية، وفي نفس الوقت لتؤديَ وظيفتها في الحياة فبقائها واستمرارها أمر ضروريّ.

وإلى جانب ذلك، جرت العناية بتربية النّحل؛ فقد تكلم القرآن عن النحل وأثره في شفاء الإنسان لقوله تعالى:{**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ومِمَّا يَعْرِشُونَ{} ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ**} (النحل:68- 69). فإنّ المراد بالوحي هنا الإلهام وإرشاد النّحل إلى السّلوك والمهام لصنع العسل مابين أصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها(ابن كثير، ع، ج2: 489). لقد انتشرت المناحل في بلاد الأندلس الّتي يجمع منها العسل بكميات وفيرة، لأنه نافع لكثير من الأمراض ويدخل في صناعة العقاقير والأدوية. وقد مهر أهل منطقة أشبونة في تصنيع العسل ووضعه في أكياس من الكتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر(ابن سعيد، ع، ج1، 1997: 226- 334).

لقد تبّين أنّ استخدام التّخطيط البيئي في بلاد الأندلس قد مكّن من تحقيق بيئة اقتصاديّة بالدّرجة الأولى وعادت بالفائدة على التّنمية من جراء السلوكيات البيئيّة الإيجابيّة نحو التّخضير. ولما كان الحيوان ثروة مسخرة للانتفاع بها في الغذاء والملبس والنقل وإدارة الطّواحين ومقاصد التعمير لقوله تعالى{**و اللّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ**}(النحل:80)، وجب الحفاظ على أسباب بقائها من خلال قمع السّلطة الأموية لمختلف التّمردّات والثّورات الّتي عرفتها بلاد الأندلس من حين لأخر خلال القرنين(3- 4هـ/09-10م)، والقضاء على القوى العابثة في الأرض فسادا والتي أهلكت الحرث والنّسل. ومن أهمّ أحداثها ثورة عمر بن حفصون الّذي أعلن الثّورة على الحكم الأموي " فأفسد الزّروع وقطع الأشجار ودمّر العمارة وخرّب الدّيار، فقتل من البشر الكثير" (ابن حيان، ت.محمود علي مكي، 1973: 109). وهذه الخصوصيّة الّتي تسعى الدّولة تطبيقها في محاربة الفساد البشري ومحو أثاره خلقت حالة من الانسجام بين عناصر الطبيعة والتي اشتملت على الموارد المائيّة والنّباتيّة والحيوانيّة أسس الحياة البشريّة.

و- عناية السلطة الأموية بالطب

من أعظم نعم اللّه الصّحة لقوله تعالى{**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**}(التكاثر:8) والنّعيم الصّحة(ابن كثير، ع،ج4: 477) أثمن ثروات الإنسان. فمن الضّروري حفظ الثّروة البشريّة قبل حفظ الموارد البيئيّة من نباتيّة وحيوانيّة، ونصوص القرآن والسّنة عطاء للسّلامة من الأدواء والعلل. ولا يّتسع لنا المجال في هذا البحث التّفصيل في ابتكارات الأطباء والصّيادلة في الأندلس وعليه سنقتصر على دور السّلطة في المجال الصّحّي. أما دور الحسبة في حفظ الصّحّة والطّهارة سنذكره في موضعه.

تعتبر صحة الإنسان عند السّلطة الأموية من المبادئ الخالدة " فقد أزهر علم الطّب إزهارا بين مسلمي الأندلس"(بالنثيا، أ،(د.ت):461)، وفيها ظهر العظماء من الأطباء والصّيادلة، وبداية الطّب عندهم في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل مقصورة على كتاب يقال له الابريشم ومعناه الكتاب المجموع والجامع، وتقدّمت حركة الطّب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر" فتتابعت الخيرات في أيامه، ودخلت الكتب الطّبيّة من المشرق وجميع العلوم، وقامت الهمم، وظهر النّاس ممن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين"(ابن جلجل،س،1985 :98). ومن جملة المؤلفات القديمة في علم العقاقير الّتي ترجموها واستفادوا منها في مجال تحضير الأدويّة كتاب الحشائش لديسقوريدس الّذي أهداه إمبراطور بيزنطة قسطنطين السّابع إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر. وبفضله عرف الأندلسيون أهمية النّباتات وخواصّها.

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر ثمّ إنشاء ديوان الأطباء، وأمر بإقامة خزانة بالقصر للطّب، فرتب لها اثني عشر صبيا من الصّقالبة لتجهيز الأدوية المركبّة(ابن جلجل،س،1985 :113). ومن أعظم الأطباء بين الشرق والغرب أبو القاسم خلف بن عبّاس الزّهراوي، طبيب عالم في الجراحة اتّخذه الحكم بن هشام طبيبا خاصّا به، وكان خبيرا بالأدوية المفردة والمركّبة وله تصانيف في صناعة الطّب أفضلها كتابه المعروف بالزّهراوي، وله كتاب" التّصريف لمن عجز عن التّصريف"، توفي (403هـ/1012م) (ابن جلجل،س،1985 :52).

ي- دور مؤسّسة الحسبة في رعاية البيئة

خضعت ولاية السّوق في الأندلس لتنظيم محكم مبينيّ على أسس وقواعد الخطاب الشّرعي وأحكام الفقه الّتي تكون من اختصاص الولاّة أو القضاة في البحث عن الحلّ الشّرعيّ المتعلقّ بأحكام السّوق، وقد وصف المقري هذه الخطّة بقوله:" وأما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن، وكأن صاحبها قاض، والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكبا على الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان"، وفي موضع أخر أضاف:" ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه"(المقري،أ، ج1، 2004: 219). فالاحتساب إذن هو ممارسة الرّقابة الإداريّة بتكليف من الدّولة.

وكان صاحب السّوق بالأندلس يستعمل - تطبيقا لهذه المبادئ - مختلف الوسائل لضبط مخالفات الصّناع ومحاربة الغشّ بالتّصدي لهم، وفرض العقوبات كما حدّدها الفقهاء والمحتسبون حرصا منهم على السّير الحسن للمعاملات التّجاريّة، وحركية النّشاط في الأسواق وتفادي الأضرار بالدّرجة الأولى، ونثمّن ذلك بقول للسّقطي:" ينبغي للمحتسب أن يتفقّد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من مطالّ النّاس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيلهم للنّاس عن أشغالهم وإضرارهم بهم"(As-Sakati,m ,1930 :62).

كان لنظام الحسبة دور مهم في الحفاظ على سلامة البيئة ونظافتها وتحديد ضروريّات الرّعية حتىّ يتسنى للحرفييّن والتّجار الممارسة الدّائمة تحت حمايتها، وكان من واجباتها أيضا توسيع الفضاء الصّناعي الّذي نتجت عنه ظاهرة التّخصّص الحرفي، وذلك بفضل الرّقابة الّتي كان يتولاها المحتسب في المدينة. وقد تضمنّت كتب الحسبة الأحكام الشّرعيّة لتنظيم فضاء المدينة بهدف الحرص على النّظام العامّ، وشدّد الفقهاء في مراقبة وتعقّب العمل المتداول في المدن الأندلسية، كما حدّد المحتسبون شروط كلّ صناعة ومهنة، وواجبات القائمين بها والتزامهم جودة الصّناعة وإتقانها.

أ نماذج من عناية المحتسبين بسلامة البيئة ونظافتها

لقد تناولت كتب الحسبة الأندلسية أنواع الغشّ التي كان يلجأ إليها الخبّازين، فحذّروا من خلط الدقيق الطيب بالرّديّ، والمحجر بغيره ممّا لا حجر فيه (ابن عبد

الرؤوف،أ، 2005: 88). وأشار السّقطي كذلك إلى أسلوب الاحتيال الّذي كان يستعمل عند طحن القمح فيما روي : "وبأرحىّ مالقة عجب يجب التحدث به وذلك غار فيه تراب أبيض يحتفر ويخلط في الدقيق"(As-Sakati,m ,1930 :22).

انتشرت الأفران بانتشار الأرحاء بالأندلس، وفي كلّ حي من أحيائها نتيجة لحاجة النّاس المستمرة إلى الخبز لأنّه الغذاء الأساسيّ. وكان لأصحاب هذه الحرفة مكان خاصّ بهم، إذ تفطن رجال الحسبة بضرورة وجود الأفران بعيدا عن أهل الحرف القذرة وذلك لمنع الضّرر، كبياع السردين وسائر أصناف الحوت والبياطرة والحجامين وما أشبه ذلك. وأمروا بتنظيف ساحاتها، ومنعوا الفرانين عن حرق ما يحتطب من الأزقة والمواضع القذرة الّتي لا تؤمن من نجاستها وإضرارها بالمطبوخ. وأمروا بتنظيف الأفران من الرّماد والتّراب(ابن عبد الرؤوف،أ، 2005: 90- 91)، وكانت غاية هؤلاء المحتسبين هو الحفاظ على جمالية الفضاء الصّناعيّ والبيئيّ وحماية المنتجات الصّناعيّة.

وللحفاظ على نظافة المدينة منع حول الجامع من وجود بائع زيت والحجل والطّير المذبوح"(ابن عبدون، م، 1995: 44- 47). وللقضاء على الرّائحة الكريهة تم إبعاد بائعي الحوت إلى مكان سوقهم بمعزل عن الطّريق لما تعوده من رائحة. ومنع الخبّازون من مجاورة أهل الحرف القذرة كباعة السردين وأصناف الحوت والبياطرة والحجامين. ومن أجل تنظيم حركة المرور في شوارع المدينة والأسواق منع تجاور السّلع المتضادة تفاديّا لفساد السّلعة وتسبّب الأذى للمارّة. وفي هذا الصّدد منع الصّبّاغون من نشر الثّياب المصبوغة في الطّريق لما فيه من تلّوث للمارّين. كما نهي عن اتّخاذ أفران عليها لحماية المارة من الدّخان، وطلب من الفخّارين إزالة حوائجهم عنها ومنع الخضّارون والحصّارون من طرح أزبالهم بها، لأنّها تعطّل حركة السّير في شوارع المدينة والأسواق (ابن عبد الرؤوف،أ، 2005: 57- 85- 106- 107).

أما في مجال المراقبة الصّحيّة للثّروة الحيوانيّة يكفي أن نشير إلى التّشريعات الّتي تتفاعل مع معطيات الطّبيعة وتعيد للفقه البيئي دوره في خدمة الفرد والنهي عن الضّرر بالحيوان، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الأحكام الصّادرة الّتي تجعل من اللّحوم ذات قيمة غذائية يجب متابعتها والكشف عن مخالفات الجزّارين؛ إذ يؤمرون" أن يفرّقوا بين لحم الضّأن والمعز، وبين لحم البّطون والرّؤوس ولحم البدن وغيره، وبتنظيف الرّحاب، وكثرة الذّباب، والبعد عن الأقدار، ويمنع من كان مجذوما أو مبروصا وسائر المرضى المستقذرين من بيع جميع الأطعمة واللّحوم"(ابن عبد الرؤوف،أ، 2005: 79- 80).

ومن مميّزات الشّريعة الإسلاميّة أنّ للحيوان حقوقا شرعية تراعى في أنظمة الحسبة، فكان من الواجب الأمر بالإحسان والرّفق بالحيوان فيما ذكره ابن عبد الرؤوف عندما تحدّث عن الرّأفة بالحيوان والرّفق به عند الذّبح؛ إذ يؤمر الجزارون"

... حد الشفرة ويتوارى عنها إذا قدمها للذبح، ويرفق بها عند ضجعها، ولا يعنف عليها، ولا يقرع قوائمها بالسّكّين قبل الموت" وفي نفس السياق يذكر" أن لا يذبحوا شاة أخرى تنظر إليها "(ابن عبد الرؤوف،أ، 2005: 93). وهكذا نجد أن هذه المناهي قد شملت قوانين التّطهير البيئي وحماية الصّحّة، وعند تطبيقها ندرك مدى حرص السّلطة الأموية بالأندلس على التّخلّص من مصادر التّلوّث والنّجاسات المسببة للأمراض الجسمانيّة، ودعوة الطّهارة كانت من مبدأ العناية الصّحيّة وترسيخ ثقافة التّربيّة البيئيّة عند الأندلسيين، وتبثث هذه الدّعوة في القرآن الكريم بقوله تعالى" ... **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**"(المائدة، الآية6).

ورصد التفصيلات يقود إلي أنّ السّبب الرّئيسي للتّغيّر البيئي في بلاد الأندلس وتطوّر الوعي البيئي بها يعود إلى تأثير النّشاطات السيّاسية على تغيير المحيط. وانفراد السّلطة في غالب الأحيان بمواجهة المعضلات الطبيعية، ببعث الثّقافة البيئيّة في وقت مبكر من تاريخ الحضارة الأندلسية؛ إذ يعتبر الحاكم عنصرا مغيّرا في البيئة وذلك على مستوى التّعديلات العمرانيّة والاقتصاديّة الّتي أثّرت على الوسط الطّبيعيّ بما تقتضيه المصلحة الخاصّة للسّلطة أوّلا ثمّ المصلحة العامّة، وعليه توسّعت علاقة الإنسان بالطّبيعة واستهلاكه لمواردها وتنظيم الاقتصاد والتّخفيف من أخطار التّلوّث، ولا تنحصر هذه الوقاية في معالجة الأضرار ولكن بفرض قوانين فقهيّة عملية صادرة عن مؤسسة الحسبة وتطبيق ما يسمى بالسّياسة البيئيّة الّتي تبنّتها السّلطة الأموية في إطار التّطوّر الحضاريّ.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن كثير، عماد الدين. تفسير القرآن الكريم.تحت إشراف الشيخ خليل الميس.ج2.بيروت. دار القلم.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس .(2002م). نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م2. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك .(2003م).كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس. تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1.بيروت. المكتبة العصرية.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم .(1937م). صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال. القاهرة.

ابن حيان، أبو مروان بن خلف بن حيان القرطبي.(1973م). المقتبس من أخبار أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكي، بيروت. دار الكتاب العربي.

ابن حيان، أبو مروان بن خلف بن حيان القرطبي .(د.ت). المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق محمود علي المكي، السفر2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ابن حيان، أبو مروان بن خلف بن حيان القرطبي .(1979 م).المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا. ج5. الرباط. المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب.

ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي. (1985م). طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد.ط2. بيروت. مؤسسة الرسالة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد.(د.ت). العبر، ج4. بيروت. دار العلم للجميع .

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله.(د.ت). الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان.القاهرة. دار المعارف.

ابن سعيد، علي بن موسى.(1997م).المغرب في حلى المغرب. ج1. ط1. بيروت. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

ابن عبدون، محمد بن أحمد . (1995م). رسالة في القضاء والحسبة.تحقيق ليفي بروفنسال.القاهرة. مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله القرطبي.(2005م).آداب الحسبة والمحتسب. تحقيق فاطمة الإدريسي .ط1.بيروت. دار ابن حزم.

ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد.(د.ت). البيان المغرب في أخبار المغرب.ج2. بيروت. مكتبة دار صادر.

مجهول، (2007م). تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية. بيروت. دار الكتب العلمية.

المقري، أبو القاسم أحمد بن العباس.(2004م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1. تحقيق إحسان عباس. بيروت. دار صادر.

المقري، أبو القاسم أحمد بن العباس.(1985م). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3. تحقيق إحسان عباس. بيروت. دار صادر.

Abu'Abd allah Muhammad B.Abi Muhammad As-Sakati de Malaga. - . 1930Un Manuel Hispanique De Hisba. Texte Arabe ,Introduction. Par Colin et Lévi –Provençal .Paris.

Ahmed Razi , 1953. La Description de L' Espagne, Provencal ,Al-- Andalus. Paris. Vol 12.

المراجع العربية:

إحسان، عباس .(1969م). تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة. ط2.بيروت. دار الثقافة.

بالنثيا، أنخل جنثالث. تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة حسين مؤنس. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

الريسوني، قطب. (2008م). المحافظة على البيئة من منظور إسلامي،ط1. بيروت. دار ابن حزم.

السيد عبد العزيز، سالم.(1997م). قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس. الإسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة.

شحاتة، عبد الله.(2001م). رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، القاهرة، دار الشروق.
الطاهري، أحمد. (1989م). عامة قرطبة في عصر الخلافة. الرباط. منشورات عكاظ.
القرضاوي، يوسف.(2001م). رعاية البيئة في شريعة الإسلام، بيروت. دار الشروق.
جودة، هلال،(1986م).قرطبة في التاريخ الإسلامي. القاهرة. الهيئة المصرية للكتاب.
جوميث، مورينو. (1977م). الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم و عبد البديع لطفي. القاهرة. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
مرزوق، محمد عبد العزيز. (د.ت). الفنون الزخرفية في المغرب والأندلس. بيروت. دار الثقافة.
مجهول، وصف جديد لقرطبة مقتبس من مخطوط في جغرافية الأندلس، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م13، مدريد (1965- 1966م)
بلباس، توريس.1953.الأبنية الاسبانية الإسلامية.تعريب علية إبراهيم العناني.مدريد، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية.

الأطروحات

عبد الله الحساني، فايزة.(2008م).تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها. رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي. جامعة أم القرى. المملكة العربية السعودية.